الميل إلى الهدم
وصراع الديكة بين الأدباء والفنانين
للأستاذ دريني خشبة

يحيا الأدباء والنقاد ورجال الفكر والموسيقون وسائر الفنانين فى مصر كما تحيا الديكة ... يعدو بعضها على بعض ، ويحاول أحدها أن يمزق جلد الآخر إن لم يستطع أن يقتله ... والناس مغرمون بهذا بالرغم مما ينطوى عليه من شر ، وما يفسر ما فى غرائزنا من نقص ، بل نكسة إلى الحيوانية ... فهم يقفون ليلتذوا صراع الديكة التى يدمى بعضها بعضاً ، وكلما ازداد هذا الإدماء ازداد التذاذ المتفرجين على حساب الآلام القتالة التى يألمها الطائر المسكين ، وقلّ فى الناس من يحمل قلباً يأنف أن يلتذ آلام الغير

ويلذ الناس فى مصر أن يشهدوا هذا الضرب من صراع الديكة بين الكتاب والنقاد ورجال الفكر والموسيقيين وأبطال المسرح وسائر الفنانين ... ثم بين المشتغلين بسياسة البلد العليا من رجال الأحزاب بوجه خاص . على إنه إن جاز شىء من صراع الديكة بين رجال الأحزاب السياسية ، فلست أدرى لماذا يشتد هذا النوع من الصراع بين رجال الفكر والفنون ؟ هل قال أحد إن الحكومة ستنشىء وزارة للأدب ، فالأدباء يصطرعون عليها ؟ أم زعم زاعم أن الدولة سوف تنشىء للنقد المناصب الموالى فالنقاد يستعدون ويستمدون ويشرعون الأسنة والرماح ؟

١ — كتبت مرة كلاماً فى المسرح المصرى أدعو فيه إلى الوحدة والتعاون من أجل الخير العام ، ثم جعلت أشيد بالجهود الكبيرة التى يبذلها فلان وفلان من أبطالنا المسرحيين ، فما أصبحت حتى زارنى بعض رجال أحد المسكرات المسرحية ، ثم شرعوا يعاتبوننى معاتبة شديدة لأنى عددت هؤلاء الأبطال المسرحيين أبطالاً حقيقيين جديرين بأن تذكر أسماؤهم فى صفحات الرسالة ، بله أن يشاد بجهودهم فيها !! ... ولقد كانوا يتدفقون حماسة وهم يقذفون فى وجهى بهذا العتب ، حتى كدت أركن إليهم شيئاً قليلاً لو لم يعجلوا بالانصراف . فلما انصرفوا ، لم يزد دهشى إلا إقبال نفر من المعسكر المسرحى الآخر ، جاءوا للسبب نفسه الذى جاء من أجله إخوانهم السابقون ! وبالطبع لم يكن قدح هؤلاء فى أولئك أهون من قدح أولئك فى هؤلاء ! وبالطبع ، كدت أركن إلى هؤلاء كما أوشكت أن أركن إلى أولئك ... وقلت فى نفسى : هذا سبب أليم من أسباب انحطاط المسرح المصرى !

٢ — وكتبت مرة كلاماً أدافع به عن الموسيقيين المصريين مما رماهم به الأستاذ توفيق الحكيم من جمود وعقم ، ثم ذكرت بعض أسماء هؤلاء الموسيقيين ، ولاحظت أن تمثل هذه الأسماء المدارس أو المذاهب الموسيقية المختلفة فى مصر ... فما أصبحت حتى زارنى بعض الأساتذة الأفاضل المشتغلين بالموسيقا ليخبرنى أنه يوشك أن يغير رأيه فىّ ، لأنى أعد فلاناً وفلاناً من الموسيقيين أو الذين يعرفون شيئاً فى الموسيقا ؟! ... ثم انطلق ،

لكن هلّ يفهم من ذلك أننا خطّأنا الأستاذ أحمد أمين فى حرصه على المصالح الاجتماعية والمطالب المعيشية ؟

كلا . بل نحن مثله فى حرصنا على تلك المصالح والمطالب ، ولكننا نقول إن ظهور الفنون الخالصة فى بنية الأمة ضرورة حيوية لسلامة تلك البنية ، فإذا وجدت الفنون الخالصة فى الجو الذى يلائمها كان ذلك دليلاً على استكمال المطالب التى دونها فى مراتب الكمال ، كأنما هى الزهرة التى لا تؤكل ولا تشرب ، ولكنها إذا غابت عن الشجرة كان ذلك دليلاً على مصاب أحاط بالثمرات والقشور والأوراق والأحطاب

فالفنون الخالصة زهرة الأمة التى تنم على حياتها ، ولن تحيا أمة يكون فيها اختلال بموق مصالح الأكثرين ومطالب المعدات والأجسام .

وعلى هذا نتفق جميعاً إذا اتفقنا على أن الفنون علامة صحة ونماء ، وليس من الضرورى بعد ذلك أن نطالب حمرة الخدين بفائدة مادية غير الدلالة على الجسم الصحيح

عباس محمود العقاد

حفظه الله ، يبرهن لى على جهل هؤلاء الزملاء ، إن صح أن يتشرفوا بزمالة الأستاذ العظيم ، ثم انتهى إلى التصريح بأن الذين ذكرت هم سبب نكبة الموسيقا المصرية ، وأن فلاناً هذا سفته كيت ، وأن فلاناً ذاك نعته كيت وكيت ، وأن فلاناً الثالث دعي ولا وزن له ولا ... ولا ... وقد كدت أيضاً أن أركن إلى الأستاذ المتحمس شيئاً قليلاً أو شيئاً كثيراً . وذهبت فى المساء إلى بعض من ذكرت فى كلامى الذى أثار صاحبى ، وانطلقت أعدد له الكثير من المآخذ التى حفظتها من زورة الصباح دون أن أذكر له أننى عرفتها من أحد ؛ لكنه ابتسم ابتسامة عريضة هادئة ، ثم قال : كلا يا صديق ، عهدى بك جاهلاً بالموسيقى من حيث هى فن وعلم وتطبيق ؛ ولكنه كلام أحد غيرك قذفه فى أذنيك فأتيت تغيظنا به ... فمن ذا الذى زارك اليوم ؟ واعترفت له أن كلاماً ألقى فى أذنى عن الموسيقا وأننى ربما لم أفهمه . فلما ضاق بى لأننى لم أبح له باسم الصديق الكريم ، انطلق يسفه آراء القائلين بإلغاء الموسيقا الشرقية جملة ، وإحلال الموسيقا الغربية محلها ، ثم انتقل من التسفيه إلى التجهيل ، ومن التجهيل إلى السب ... يوجهه إلى أسماء بعينها . كان ظريفاً أن يجىء اسم الصديق الجليل بينها ، وأن يناله من غضبة الموسيقى المتفعل قدراً طيباً

فعجبت فى نفسى وقلت : وهذا أيضاً سبب أليم من أسباب انحطاط موسيقانا !

٣ — ويؤلف السادة من رجال الفكر فينا كتباً قيمة يسدون بها فى المكتبة العربية أركاناً خاوية فى كل علم وفن وأدب ، وهى كتب ثمينة قضى في تأليفها هؤلاء السادة الكتاب أخصب ما ينفق المؤلفون من أعمارهم ... فمنهم مؤرقون والناس نيام ؛ يحبسون أنفسهم في مكتباتهم أو فى دور الكتب يبحثون ويقرأون ويكتبون وينفقون المال والجهد فى سبيل حقيقة علمية أو طرفة أدبية ؛ بينما الناس يملأون الحدائق ودور اللهو البرىء وغير البرىء ، حتى إذا صدرت مؤلفاتهم تلقفها السادة النقاد أو بعض السادة النقاد ، وأقبلوا عليها ، كما يقبل الغريم على غريمه ، واقتمدوا منها مقاعد الأستاذية والمعرفة المتبحبحة التى تدعى علم كل شىء والإحاطة بكل شىء ، حتى إذا تعسفحوها عجلين تشمروا عن سواعدهم المفتولة ، وشرعوا أقلامهم المسنونة ، ثم أخذوا فى الحط من أقدار المؤلفين والتأليف ، وبكوا أو تباكوا على هذا الزمن اليائس التعس الذى رخصت فيه أقدار العلم ، وهانت منازل الأدب . وذهبوا فى المبالغة إلى حد أن يتمنوا إن لم يكونوا قد شهدوا هذا الزمان العابث الذى يجسر فيه سادتنا الكتاب المؤلفون على إصدار ثمار قرائحهم ، غير عاملين حساباً لهؤلاء السادة النقاد المحترمين . وقد شهدنا فى الشهرين المنصرمين غير مأساة من مآسى النقد ، اضطر فيها المؤلفون إلى صراع الديكة إزاء النقاد الجائرين الذين جعلوا وكدهم كشف العورات وغض النظر عن الحسنات

ولا شك أن هذا السلوك من النقاد سبب أليم فى تأخر فن النقد فى مصر

٤ — وأطلعنى الأستاذ صاحب « الرسالة » على كتب يحملها إليه البريد من مصر ومن الشرق العربى فيها قدح شديد فى بعض كتاب هذه المجلة — والله المحمود على أن كان نصيبى من هذا نصيباً طيباً — وقد هالنى ما تناول به أحد القراء أحدنا نحن الكتاب المظلومين من ثلب وانتقاص وتجريح ، لأنه غفل عن محاربة كذا وكذا من أفكار المؤلفين الغربيين التى يبشرون بها فى كتب وضيعة تقدح فى الشرق وفى أديان وعادات الشرق ، ثم ذكر حضرة القارئ المتحمس طائفة من أسماء هذه الكتب ، وأخذ على الكاتب المسكين عدم اطلاعه عليها . . . كأنما يظن أن لنا وكالات لتسقط أخبار هذه الكتب فى البلاد الأوربية فهى تصلنا بانتظام لكننا كسالى أو سيئو النية لأننا نعلم ما فى هذه الكتب ولا نأخذ أصحابها بالرد العنيف الذى يؤدبهم ويردهم إلى محجة الصواب

ألا ما أظلم الكثيرين من القراء ! حقاً إن القراءة فن لا يحسنه إلا الأقلون !

٥ — وخامسة الأثافى ، أو داهية الدواهى ، ما وقعت فيه من أسبوعين من الخطأ الشنيع ... فقد ذكرت فى كلمتى إلى أستاذنا الجليل (ا . ع) طائفة غير قليلة من الشعراء الشباب فى مصر على أنهم بعض من يمثل شعرنا الحديث ، وكان هذا الخطأ سبباً فى إثارة بعض هؤلاء الشعراء الشباب أنفسهم ، فقد ساءهم أن تحشر أسماؤهم على هذا النحو الزرى فى ذلك الثبت الطويل من أسماء الشعراء